

دلالة الجزم في سورة الإخلاص

Assertive Semantic in Surah al-Ikhlās

هشام الدين محمد يوسف¹، نورفائزة محمد حامدين²

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة دلالة الجزم في النحو العربي بالتركيز على سورة الإخلاص، لأنها تفسر عن قضية التوحيد الخالص للدفاع عن الاعتقاد الجازم للمسلم. دلالة الجزم هي إحدى الدلالات الصوتية التي تظهر من الآيات القرآنية من صفات الأحرف العربية ولها معانٍ معينة ومقاصد مبيّنة، فبناءً على ذلك، البحث والدراسة في توضيح معانيها ومقاصدها يعد أمرًا مهمًا للغاية. ولماذا يقع الجزم على الفعل فقط دون الاسم مثل الرفع والنصب. تطرقت الدراسة على منهج التحليل، ستقتصر الدراسة على دلالة الجزم على فعل الأمر مباشرة ودلالة الجزم على الفعل المضارع بواسطة عوامل الجزم. وهدفت الدراسة إلى بيان أهمية دلالة الجزم في سورة الإخلاص وتأثيرها على معنى الآية بشكل أعمق، وتوصلت إلى عدة نتائج أهمها أن هناك شدة في معنى الكلمة في تلك السورة والضغط الصوتي عند تلاوة السورة.

الكلمات المفتاحية: دلالة، الجزم، سورة الإخلاص

ABSTRACT

This study dealt with the significance of assertiveness in Arabic grammar by focusing on Surah Al-Ikhlās, because it is interpreted for the issue of pure monotheism to defend the firm belief of the Muslim. The significance of assertion is one of the phonetic connotations that appear from the Qur'anic verses of the characteristics of the Arabic letters and has certain meanings and clear purposes, so accordingly, research and study in clarifying their meanings and purposes is very important. The study touched on the method of analysis, the study will be limited to the indication of assertion on the act of the command directly and the indication of assertion on the present tense verb by assertive factors. The study aimed to show the importance of the significance of assertiveness in Surah Al-Ikhlās and its impact on the meaning of the verse in a deeper way, and reached several results, the most important of which is that there is intensity in the meaning of the word in that surah and the sound pressure when reciting the surah.

Keywords: *Indication, Assertiveness, Surah Al-Ikhlās*

¹ المحاضر بقسم اللغة العربية، كلية السلطان إسماعيل فترا الجامعية الإسلامية العالمية، hisyamkias@gmail.com

² المحاضرة بقسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بسلانجور، norfaezah@kuis.edu.my

مقدمة

إن من أهداف الدراسة النحوية الإتقان في الكلام العربي والإتقان في إعراب الكلمات في النص، حتى يفهم البعض أن النحو هو الإعراب، وتسيبياً من ذلك فقد أكد البعض المقول المشتهر " إذا صح الإعراب صح المعنى وصحت المسألة ". والممتاز في اللغة العربية هو من تحسن كلامه بالعربية الفصيحة عند التقديم أو الحوار اليومي. لكن مع الأسف الشديد أن من أهم وظيفة النحو العربي هو فهم المعنى (تمام، حسان، 1971م، 28)، حصل هذا بوضع الحركات الإعرابية على الكلمات المقصودة في النص. رغماً عن ذلك، هناك علم خاص لا يدخل في قائمة الحركات الإعرابية لكن قد وقع على أواخر الكلمة لتعبير منها غرضاً معيناً لتلك الكلمات، ألا وهو الجزم، فينبغي لنا أن نضع الميزان المناسب له كي يكثر الحديث عنه، لا يقتصر على علامته فحسب بل يتجاوز إلى معناه ودلالته. هنا سوف نكسر ما هي غرضه في النحو العربي وسوف نبينه خلال الكلمات المجزومة التي نجدها في سورة الإخلاص.

مشكلة البحث

يعد الجزم قضية من القضايا اللغوية في تأدية المعنى الصحيح للغة العربية، وكذلك يعد فهمه والإلمام بمفهومه ودلالته قاعدة أساسية في توظيف الكلمات المجزومة في أي نص من النصوص. والجزم لا يعتبر من الحركات الإعرابية لأنه لا يتحرك اللسان كما حدث في الحركات الثلاثة الرفع والنصب والجر. لكنه يدل على شيء معين من المعنى والقصد. نشعر الضغط عند قراءته وهو يتلاعب بين الأدوات الجازمة من عامل الجزم وأدوات الشرط. فهو يدل الطلب والشرط والجزاء، هذا لا يحدث في الحركات العادية المذكورة آنفاً. فالبحث لذلك الأمر يعد مهماً ضرورياً خاصة إذا نريد فهم قصد النص الشرعي. ما المقصود الصحيح لفعل الأمر والأفعال المضارعة المجزومة، هل نشعر ما أشار إليه الشارع في كلمته الكريمة (قل هو الله أحد) و (لم يلد ولم يولد) من الرغم من أن نقرأها قرونا بدون الشعور الخالص لماذا نسكن الحرف الأخير. فالتساؤلات نحو هذه المشاكل يفترض الإجابة.

أهمية البحث

بناء على ما تقدم ذكره من الإشكالية، يرى البحث أن الفهم عن الجزم مهم وضروري للغاية. بعد أن ينتهي من البحث فإن شاء الله يفيد طالب الحق ما هي الإشارات الدالة عليها الآية. فلا شك أن المعاصرين سيفهم قصد الآية بطريق صحيح، لا سيما قد ترك لنا التراث مصادر قيمة في ذلك الأمر لكن لا نفهم عنه بشكل جيد. فهذا البحث مهم لـ:

1. الباحثين عن تدبر القرآن.

2. الطلبة المتخصصين في اللغة العربية.

3. المحبين للغة العربية.

أسئلة البحث

سيحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما المراد بالجزم في اللغة العربية.
2. ما المقصود بالكلمات المجزومة في سورة الإخلاص.
3. ما وظيفة (لم) حينما دخلت على الفعل المضارع.

هدف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. توضيح مفهوم الجزم تحت ضوء النحو العربي.
2. تبين معنى المجزومات في النص العربي.
3. تعريض وظيفة (لم) في النحو العربي.

منهج البحث

يتطرق البحث على المنهجين الوصفي والتحليلي. فيصف عن مفهوم الجزم من الكتب النحوية ويركز على ما وجدها في سورة الإخلاص. ثم يحلل العينة من السورة كي يظهر المراد بدلالة الجزم التي ظهرت في السورة.

الدراسات السابقة

من البديهي، أن الكلام عن الجزم قد تم في التراث النحوي كما درس عنه سيويوه عند الحديث عن الصوت الشديد في الآيات القرآنية وكذلك ابن جني في أنه كان يفصل عن الجزم ووصفه دلالة صوتية شديدة ولماذا حدث في الفعل دون الاسم. لكن الزمخشري درس عنه من زاوية أخرى هي تأدية المعنى الدقيق حينما يفسر الآيات القرآنية وكان يكشف ما وراء الآيات، من أجل ذلك قد سمي تفسيره بالكشاف. وقد أتت الدراسات المعاصرة بزيادة البحث والاطلاع على الجزم مثل ما درس عنه تمام حسان بتركيزه على معنى الكلمة على أساس مبنائها. ثم استدرك فيها صلاح عبد الفتاح الخالدي بدراسته على تفسير الظلال بما قد سار على درب تفسيره بالمشاهد القرآنية ووجد عن تلك المشاهد بالآيات المصورة عما حدث وعما سيحدث. ولا ننسى دراسة فاضل السامرائي عن معاني النحو في كل أبواب النحو خاصة معاني الجزم.

استفاد البحث الحالي بكل هذه الدراسات السابقة في فهم ما المراد بالجزم وحاول في تقديم ما حصل من اطلاعه في سورة الإخلاص.

المطلب الأول: الجزم في اللغة العربية

قال أصحاب المعاجم العربية مثل ابن منظور وغيره أن الجزم لغة القطع (ابن منظور، 1990م، 97/12. الرازي، 1983م، 103. الزمخشري، 1998م، 138/1)، فجزمت الشيء أجزمه جزماً أي قطعتة، فالأمر الجازم هو الشيء الذي يعتمد عليه، فلذلك يقال في أمر العقيدة " الجزم المطابق لما عند الله عن دليل ". واصطلاحاً هو الحذف أي حذف الحركة الإعرابية من آخر الفعل وتسكينه أو ما قام مقامها (ابن منظور، 1990م، 97/12). الجزم ليس من الحركات الإعرابية العادية رغم دخوله في أواخر الكلمة، ولا يوكل أي حرف من الحروف الهجائية. وإنما هو حالة من حالات إعرابية من ضمن الرفع والنصب والخفض وهو الوحيد يتعامل مع الفعل لأن الفعل أثقل من الاسم (سيبويه، 1988م، 6/1). كما هو المعلوم أن يحتوي الفعل على الحدث والزمن فحالة الجزم يطلق على حدث الفعل وزمنه في وقت واحد. فالمفهوم من القطع في توضيح ما المراد بالجزم أي لا تمد القراءة ولا يعرب أواخر حروفها لكن يسكن. فالمراد به في فهم معنى الكلمات هو التوكيد والتشديد (السامرائي، 2020م، 5/4). ففي قضية علم النص، يفهم الجزم بقطع الصوت عند قراءة الكلمة أو عند الوقف. فالقطع في هذا الشأن هو الضغط الشديد حينما نذكر الكلمة، فالقرآن منزل من خلال الصوت السمائي فالخفة هناك والثقل هناك والرفيف هناك والضغط هناك. والنغم والغنة يعتبران من موسيقى الآيات التي تفهم منها حالات المعنى للآيات المبني. فتحاول الدراسة أن تتكلم قصدياً الجزم في سورة الإخلاص لنعرف ما هي مميزات التي تتحمل عليها المجزومات في السورة.

المطلب الثاني: التعريف بالسورة

سميت السورة بالإخلاص والصمد حسب الاستعمال في كتب التفاسير. قد سمي بالإخلاص لأن القضية التي طرحت من هذه السورة هي العقيدة الساطعة، خاصة قضية الأحد حينما استهزأ عليها المشركون الذين عبدوا الإلهات العديدة من صنم أو وثن، فزعموا أن الإله الذي بعثه محمد من جنس واحد، فدفع عنها الرسول بما أرسل إليه الملك في شدة الخلوص في وصف الله عز وجل. فنزلت الآية جواباً لأهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: صف لنا ربك، أمن ذهب أم من خشب هو؟ (القرطبي، 1952م، 244/20. الفراء، 1983م، 3/299. انظر: الأندلسي، 2010م، 10/572). الأسماء الأخرى سوى الاسمين أعلاهما هي سورة التفريد أو سورة التجريد أو سورة التوحيد أو سورة النجاة أو سورة الولاية أو سورة الأساس (الزحيلي، 1998م، 461/11).

المطلب الثالث: تحليل دلالة الجزم.

قبل أن نتحدث عن المجزومات بصفة خاصة، فمن الأحسن أن نبدأ بها عن سبب جزم على فعل الأمر والفعل المضارع في هذه السورة. هناك سببان وجدهما الباحثان، فالسبب الوحيد في هذا الأمر هو دخول حرف (لم) على الفعل المضارع.

الكلمات المجزومة في سورة الإخلاص.

الكلمة الأولى: قلْ

لفظ (قلْ) من حيث البنية فعل الأمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت، هنا إطلاق الأمر على محمد صلى الله عليه وسلم، فهو في حالة الجزم حدثا وزمنا، كأن يقول الله على محمد صلى الله عليه وسلم [قلْ] في الشدة الشديدة. ففي هذه الحالة اشد قولك في الله أنه أحد وأنه الصمد وأنه لم يلد وأنه لم يولد وليس له كفؤ وفي حق الجزم المحض أنه أحد. فدلالة الجزم على هذا الفعل قطعية الثبوت والدلالة. ما سيقوله محمد على من رد أحدية الله وصمديته، هذا الذي يدلله مقول القول في هذه السورة، عرفنا من سياق السورة أن الجملة الواقعة بعد ((قل)) أصبحت مفعولا به له. أعربت منصوبا محليا لأن تنصيب القضية في هذه السورة لا يأتي من صورة الكلمة وإنما من صورة الجملة أو النص. فعل الأمر مبني على السكون في محل جزم. الجزوم في هذه السورة هو قضية الدفاع من النص الآتي بعد فعل ((قل)).

الكلمة الثانية : لم يلدْ.

لفظ (لم يلدْ) من حيث البنية هو فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه سكون وفاعله ضمير مستتر جوازا تقديره هو. فيدل الجزم هنا على حدوث الحدث قطعيا ويمر الزمن من وقتئذ حتى الآن أو حتى نهاية العالم.

الكلمة الثالثة : لم يولدْ.

كذلك لفظ (لم يولدْ) فمن حيث البنية هو فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه سكون وفاعله ضمير مستتر جوازا تقديره هو. فيدل الجزم هنا على حدوث الحدث قطعيا ويمر الزمن من ذلك الحين حتى الآن أو حتى نهاية العالم.

الكلمة الرابعة : لم يكنْ.

لفظ (لم يكن) من حيث البنية هو فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه سكون وفاعله ضمير مستتر جوازا تقديره هو. فيدل الجزم هنا على حدوث الحدث قطعيا وعلى كينونة الله أنه أحد.

تشير دلالة الجزم إلى عدة القضايا في هذه السورة، فكلمة (قل) تجزم قضية التوحيد بشكل عام لأن فعل الأمر يشتمل على الحدث والزمن وأما لفظان (لم يلد) و(لم يولد) تجزمان القضايا المنفية. تكلمت (يلد) و(يولد) عن الولادة. لماذا يطرح الله جل وعلا كلمة الولادة بين طيات السورة، وما علاقتها بقضية الأحد. أن تسبب الولادة الأكثرية والزيادة من الأبناء والأحفاد وما أسفل، وهذا مفهوم من كلمة ((يلد)) أي الذي يلد، بينما الولادة التي تفهم من فعل ((يولد)) أن الله تفرع من الأصل أب وأم وما فوق. لأجل ذلك نفى الله الولادة من كلتا ((يلد)) و((يولد)) بأن الله لم يلد ولم يولد. قال سيد قطب: حقيقة الله ثابتة أبدية أزلية لا تتورها حال بعد حال، فالولادة انبثاق وامتداد ووجود زائد أو عدم وهي تقتضي الزوجية تقوم على التماثل أو التكافؤ. فصفة ((أحد)) تتضمن نفي الوالد والولد (قطب، 2012م، 4004/6. الزحيلي، 1991م، 465/16).

وأما لفظ (لم يكن) تطلق على نفي قضية الكفاءة بين الله والمخلوق وقلب نفي مفهوم الكفاءة من ماض أم مضارع أم حال وكلاهما نُفي على وجه الجزم. فقال ابن كثير (774هـ): ليس لله صاحبة في أمر وشأن (ابن كثير، 1997م، 495/4). وزاد عليها البيضاوي (685هـ) بقوله: فلم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها (البيضاوي، 2012م، 403/5. حوى، 1989م، 6753/11). وقال صاحب الظلال: لم يوجد له مماثل أو مكافئ، لا في حقيقة الوجود ولا في حقيقة الفاعلية ولا في أية صفة من الصفات الذاتية (قطب، 2012م، 4004/6. الزحيلي، 1991م، 466/16).

من المستحسن أن تركز الدراسة أيضا على حرف ((لم)) هو عامل من عوامل الجزم، ف (لم) يؤخذ معناها من منع الانتشار في الأصل، كأن المعنى جمده أو توقف عن أن يفعل (جبل، محمد، 2019م، 511/2). و (لم) هو حرف نفي تفيد معنى السلب، وحرف جزم أي تجزم المضارع التي تأتي بعدها على الطول، وحرف قلب أي تقلب معنى المضارع من الحاضر إلى الماضي (بابتي، 1994م، 886/2. انظر: ألتونجي، 1961م، 63). تظهر صفة النفي والقلب في معنى الحدث لكن صفة الجزم تظهر في حال النفي والقلب. فلأجل ذلك سماها النحاة بجرف الجزم. وكان مستوى نفيه في النحو أعلى من الأحرف النافية الأخرى لأن الميم الساكنة أكثر ضغطا وأوضح شكلا عند ذكرها بالمقارنة إلى النون الساكنة التي تأتي في حرف (لن) الناصبة. فبتلك المميزات قد اختارها الله تعالى لدفع الأحادية والصمدية في العقيدة الإسلامية الصالبة.

من الواضح أن الجزومات في هذه السورة نوعان فالنوع الأول صيغة فعل الأمر ((قل)) والنوع الثاني الفعل المضارع المسبوق بعامل الجزم (لم) فهي حرف جزم ونفي وقلب (الأنصاري، 1991م، 277/1. يعقوب، 1985م، 375). مبني على السكون لا محل له من الإعراب. ننظر أولا إلى فعل الأمر (قل) الذي بني على السكون، فقطع الصوت في حرف اللام يدل على الجزم في الحجة العامة لأن (قل) يدل على المقولات التي

أصبحت لبابا في السورة. ثم نظر ثانيا إلى الفعل المضارع الداخلة عليها (لم) في ضوء طبيعة الجزم والنفي والقلب، نفهم صراحة أن يدل الجزم على معنى الفعل (الولادة) ويدل النفي على حدوث الولادة ويدل القلب على الزمن ماضيا وحاليا ومستقبليا.

الجدير بالاهتمام هنا ترتيب الآيات كما نظر إليها البحث.

القضية الثالثة (النفي الشديد)	القضية الثانية (النفي الشديد)	القضية الأولى (الإقرار والإثبات)	قل
عدم الكفاءة	عدم الأبوة والبنوة	الله / الأحدية / الصمدية	

البيان: يدل الجزم من فعل الأمر على الإقرار العام بكل قضية موجودة في السورة. بينما الجزم من الفعل المضارع يدل على النفي الشديد على الإطلاق، والجزم بالعامل يعتبر في المرتبة الثانية والجزم بدون العامل مثل فعل الأمر يعتبر في المرتبة الأولى لأنه يأتي من بنية الكلمة.

الخاتمة

مهما يكن من أمر، نرى أن السورة التي أتت إلينا بتلك الوجوه الجزمية، تقصد حالة النفي والإثبات على قضية العقيدة الصلبة. فالجزم أنسب حالة وأوضحه وأصححه في بيان مستوى النفي والإثبات. وهذه كيفية جميلة أشار إليه الله جل جلاله لتعبر تلك الحالة. فلا تكتفي أن ندرس النحو الإعرابي بدون التأمل والتدبر لماذا يسكن الحرف الأخير في الكلمة. ضع هذه اللافنة في العقل على وجه الدوام أن النحو ينشأ ويوضع خدمة للنص الشرعي.

المصادر والمراجع

- الإفريقي، ابن منظور، (1990م). لسان العرب، ط1، دار الفكر: بيروت.
- ألتونجي، محمد، (1961م). تسعون أداة معربة مع أمثلتها، ط2، مكتبة اليقظة: دمشق.
- الأنصاري، ابن هشام، (1991م). مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محي الدين عبد الحميد، ط1، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- بابتي، عزيزة، (1994م). معجم المفصل في النحو، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت.
- البيضاوي، عبد الله، (2012م). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- حسان، تمام، (1971م). اللغة العربية معناها مبناها، ط1، دار الثقافة: الدار البيضاء.
- حوى، سعيد، (1989م). الأساس في التفسير، ط2، دار السلام: القاهرة، 6753/11.
- جبل، محمد، (2019م). المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ط5، مكتبة الآداب: القاهرة.
- الدمشقي، ابن كثير، (1997م). تفسير القرآن العظيم، ط1، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- الزحيلي، وهبة، (1991م). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر: دمشق، 465 / 16.
- الزحشيري، محمود، (1998م). أساس البلاغة، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت.
- الرازي، محمد، (1983م). مختار الصحاح، ط1، دار الرسالة: الكويت.
- الفراء، يحيى، (1983م). معاني القرآن، ط3، عالم الكتب: بيروت.

القرطبي، محمد، (1952م). الجامع لأحكام القرآن، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، (د.ط.).

قطب، سيد، (2012م). في ظلال القرآن، ط40، دار الشروق: بيروت.